

الجانب الإيماني والإنساني

في أسلوب الذبح الإسلامي

أ.د/ عبد الحليم عويس (*)

الشركاء الثلاثة في عالم الأحياء: تكامل وتراحم

- نحن (الثلاثة) شركاء في هذه الأرض، وكل عضو فينا يتفاعل مع الآخر، يأخذ منه ويعطي له، وقد كرم الله (الإنسان) وسخر له الشريكين الآخرين: الحيوان والنبات، لكنه - في مقابل ذلك - أمره بالحب لهما والإحسان إليهما، ومعاملتهما بمعنى الإحسان الكامل، الإحسان حباً ورحمة، والإحسان إتقاناً وإستيفاءً لشرطي الصلاح والصلاحية.

- ويدخل أحبابنا الطيور في جملة (الحيوان) حتى وإن حلقوا فوق رؤوسنا، فهم - أيضاً - غذاؤنا، وهم - أيضاً - يستحقون منا الرحمة والعطف.

- وكانت النملة الرائعة المسكينة تدافع عن أخيها الإنسان، وهي تتصح قبيلتها من النمل قاتلة لهم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(١) ولعل (النملة البرئية) لم تكن تدري أن هناك من بني الإنسان من يقتلون النمل وهم يشعرون، بل ويتلذذون بتعذيب الحيوان، ويجعلون تعذيبه غرضاً ومتعة يتلهون بها .. بل إن

(*) أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية

(١) سورة النمل الآية (١٨)

(موته) بطريقة وحشية في حلبات سباق (مصارعة الثيران) أمر يحتفل به كثير من الناس، ويقيمون له الأحفال!!

- نحن الثلاثة - الإنسان والحيوان والنبات - (أشياء) وبالتالي فنحن نخضع لقانون النشأة الواحدة من منبع أصلي واحد .. كلنا من الأرض والماء جئنا .. من التراب وإلى التراب نعود .. قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾^(١) وكلنا في حاجة إلى (الرحمة الإلهية) التي لا تقتصر - بل هي لا تتجه - إلى الإنسان وحده، بل تتجه إلى (عالم الأشياء بأضلاعه الثلاثة على هذه الأرض) فعلينا بالتالي أن نتراحم فيما بيننا، فيرحم القوي منا الضعيف، حتى نستحق رحمة الله التي وسعتنا جميعاً قال تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾^(٢) ..

- ونحن (الشركاء الثلاثة) دائرة غير مفككة إزاء (رحمة الله) كما قد نتخيل .. بل على العكس .. فنحن إذا تبادلنا العنف والإرهاب فيما بيننا، فسيمنع الله عنا رحمته، ويذيقنا عذابه على قدر ما نملك من وعي وما نطبق من مسئولية .. فإذا كانت هناك امرأة (من بني الإنسان) دخلت النار في هرة (قطعة ضعيفة مسكينة) حبستها، فلا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض. فإن هناك في المقابل رجلاً سقى كلباً كان يلهث من الظمأ فغفر الله له ذنوبه وأدخله الجنة.

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «عذبت امرأة في هرة لم

(١) سورة الأنبياء الآية (٣٠)

(٢) سورة الأعراف الآية (١٥٦)

تطعمها ولم تسقها ولم تتركها تأكل من خشاش الأرض».

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب، ثم خرج فإذا كلبٌ يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثلي الذي كان بلغ مني، فنزل البئر فملأ خفه ماءً ثم أمسكه بفيه حتى رقي (خرج من البئر) فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له»^(١) ... إلى آخر الحديث ... ومثله حديث البغي التي سقت الكلب فغفر الله لها^(٢).

- إن هناك - إذن - علاقة تبادلية يربها الله، ويكافئ عليها الصالح، ويعاقب عليها المسيء.

- بل إن رزق الله يأتينا - بالجملة - لنستفيد منه أيضاً كشركاء في مأدبة واحدة، بل العجيب أننا - نحن الضلع الأرقى والأقوى - في كثير من الأحيان وبخاصة في فترات ازدهار ذنوبنا ومعاصينا، لا نُرزق إلا من أجل البهائم "ولولا البهائم لم ترزقوا" قال عليه الصلاة والسلام في حديث طويل: "خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن ... ومنها: ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المثونة وجور السلطان، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا"^(٣).

- والقرآن الكريم يشدُّنا بقوة إلى ضرورة تأصيل الود والرحمة والإحسان

(١) رواه مسلم

(٢) رواه مسلم

(٣) رواه مسلم

بيننا على أساس (الشراكة) المتكاملة لا المتصادمة .. لنستمع إلى قول الله الكريم في كتابه الكريم يقول لنا:

- ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ ﴾^(١) ويقول: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(٢) إنا أسرة واحدة إذن!!!

- ويقول: ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾^(٣).

- ومن الآيات يتضح أننا أمام كون واحد، وأمم مختلفة متعاونة، متماثلة في قضايا الحفاظ على الوجود، وكلها تخضع لقانون واحد، هو قانون (الزوجية المتقابلة المتكاملة) .. الذكر والأنثى .. والتلاحق بينهما .. وكلها تتلقى المائدة السماوية التي بها قوام وجودها وقوام حياتها واستمرارها .. الماء المرسل من السماء!!

- فأى علاقة هذه بين هذه الشركة المثلثة الأضلاع، وأى تراحم وتعاون يجب أن يتحقق بينهما، وإذا كانت العناية الإلهية قد سلطت واحداً منها على الآخرين، فيجب أن يكون كريماً رحيماً، ولاسيما في تلك اللحظات التي يسلبها فيها أغلى ما لديها وهو الحياة .. إنها لحظة (وداع) كتبه الله، فيجب أن يكون بأكرم الطرق وأفضلها ..

(١) سورة الأنعام الآية (٣٨)

(٢) سورة يس الآية (٣٦)

(٣) سورة الروم الآية (٤٨)

- وتلك هي نظرة الإسلام القائمة على الود والإحسان والرحمة انطلاقاً من (الإيمان) بالرحمة الإلهية والحساب الإلهي لتحقيق العدل، ومن (حقوق الحيوان) الشريك الأساسي في هذه الأرض التي وضعها الله للأنام، ولكل الأمم المتماثلة المتنوعة والتكاملة!!

الرحمة والإنسانية روح الشريعة في المجالين الإنساني والحيواني:

لا يقيم الإسلام صياغته للحياة على أساس المواد الشرعية المفصلة للأوامر والنواهي والحلال والحرام فحسب، وإنما يضع هذه النصوص الشرعية في إطار من القيم الأخلاقية الرحيمة الكريمة التي تنشئ علاقة (إيمان وحب) بين المؤمن (الفاعل) والموضوع (المفعول)... ولم تشذ علاقة الإنسان المسلم بالذبائح التي تمثل طعاماً له، أو بالحيوان - بعامه - الذي يمثل ركناً أساساً من أركان حياته في عصور متطاولة، قبل اختراع وسائل النقل الحديثة...

ولقد روى أصحاب السنن عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال: «لا جُنْب ولا جُنْب في الرَّهَان».

- الجُنْب: هو أن يُتَبَعَ فرسه بمن يحْتَهُ على سرعة الجرى.

- والجُنْب: هو أن يُجَنَّب فرساً إلى فرسه إذا فترت تحول إلى المجنوب.

وقال أبو عبيد: الجُنْب: أن يجنب الرجلُ فرسه الذي سبق عليه فرساً عرياناً ليس عليه أحد، فإذا بلغ قريباً من الغاية ركب فرسه العري فسبق عليه؛ لأنه أقلُّ عياء أو كلالاً من الذي عليه الراكب.

فهذه صورة من صور علاقة المسلم بالحيوان، يرتفع بها الإسلام عن أن تكون مجرد موضوع للمصلحة والفوز في السباق، ويضعها -عليه السلام- في إطارها الإنساني الأخلاقي الرحيم .. وقد أمر الرسول بالرحمة بالحيوان، كما أنه حرّم إيذاء الحيوان وتحميله فوق طاقته، أو تعنيته بأية صورة من صور الإغناء.

وإذا كان الحيوان حلوبا (وله ولد) فلا يجوز الأخذ من اللبن إلا بالقدر الذي لا يضر ولد، لأنه لا ضرر ولا ضرار في الإسلام لا لحيوان ولا لإنسان سواء بسواء.

ونحن نظن - بل ونؤمن - بأن هذه صورة من صور الرحمة بالحيوان وبأبنه الضعيف لا ترقى إليها أية تشريعات بشرية أو وضعية!!

وعن جابر رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ عن الضرب في الوجه وعن الوسم فيه»^(١).

وأما وسم غير الوجه من الحيوان (فهو جائز) يُحتاج إليه في التمييز بين الحيوانات، إذا كانت في حروب، أو في قوافل كبيرة، أو ملكاً للدولة، ويخشى الاعتداء على ملكيتها من طريق الأفراد العاملين عليها أو غيرهم.

وقد نهى رسول الله ﷺ عن (التحريش بين البهائم) وإغراء بعضها ببعض كما يجري في حلبات التصارع؛ لتتصارع وتتحارش فيما بينها متعة لبعض منحرفي المزاج.

(١) رواه مسلم والترمذي .. وقد اقتبسنا هذه النقول من الشيخ الحسن سابق (رحمه الله) فقه السنة (باب المسابقة) المجلد الثاني دار الفتح للإعلام مصر صفحات ٦٢ وما بعدها.

- فعن ابن عباس قال: «نهى رسول الله ﷺ عن التحريش بين البهائم»^(١).
- كما نهى عن اتخاذ شيء منها غرضاً، فترمى بالنبال أو الحصى.
- وقد دخل أنس بن مالك دار الحكم بن أيوب فإذا قوم قد نصبوا دجاجة يرمونها فقال لهم: "تهى رسول الله ﷺ أن تصبر^(٢) البهائم^(٣)."
- وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «لا تتخذوا شيئاً فيه الروح غرضاً»^(٤).
- وقد نهى رسول الله ﷺ عن قتل الحيوان إلا لمأكله.
- روى النسائي وابن حبان أن النبي ﷺ قال:
- «من قتل عصفوراً عبثاً عج^(٥) إلى الله يوم القيامة يقول: يارب إن فلاناً قتلني عبثاً ولم يقتلني منفعة».
- وعن المسيب بن دار قال: رأيت عمر بن الخطاب ضرب جملاً وقال: لم تحمل على بعيرك مالا يطيق!!؟ (رواه ابن سعد في الطبقات)
- ومروا صلوات الله وسلامه عليه على طائر قد اتخذته بعض الناس هدفاً يصوبون إليه ضرباتهم فقال: «لعن الله من فعل هذا».
- وعن عاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب أن رجلاً حد شفرته وأخذ شاه ليذبحها فضربه عمر بالدرة وقال:

(١) رواه أبو داود والترمذي

(٢) صبر البهائم: حبسها وهي حية ثم ترمى حتى تقتل

(٣) رواه مسلم

(٤) السيد سابق - المكان السابق من فقه السنة - ص ٦٤ .

(٥) عج: رفع صوته بالشكوى

أتعذب الروح؟ ألا فعلت هذا قبل أن تأخذها؟

- وعن وهب بن كيسان أن ابن عمر رأى راعي غنم في مكان قبيح، وقد رأى ابن عمر مكاناً أمثل منه، فقال ابن عمر: ويحك يا راعي حولها فإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل راع مسئول عن رعيته»^(١).

وفي تعليقه على الحديث المشهور: (إن الله كتب الإحسان على كل شيء) يذكر الشيخ محمد الغزالي حديثاً آخر، وكأنه يكمل به معنى (الإحسان) في أمر الحيوان (في حالة الذبح) وهذا الحديث هو قوله عليه الصلاة والسلام: «إن الله يحبُّ إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»^(٢) ويعلق على الحديثين الشريفيين قائلاً: إن «الإتقان لا يتأتى بالادعاء والجهالة، فإن لكل عمل أرضى أو سماوى قواعد يصح بها، وتُدرَك بالتعليم والمران»^(٣) فالتعامل مع الحيوان - في رأى أستاذنا الشيخ الغزالي - فن وخلق وعلم -

وهو أمر يدخل في باب (الإحسان) بمعنييه الكبيرين، معنى مراقبة الله كأننا نراه، لأنه يرانا، ومعنى الإتقان، أى الحفاظ على الشروط القويمة لإتمام العمل، مع العدل والرحمة في إطار واحد.

* ويدخل في نطاق العدل والرحمة والإحسان في التعامل مع الحيوان حديث عبد الله بن مُغَفَّل الذى كتبه البخارى تحت باب (إباحة ما يُستعان به على الاصطياد والعدو وكرهية الخذف)، فقد روى عبد الله بن مُغَفَّل أنه رأى رجلاً يَخْذِفُ، فقال له: لا تخذف، فإن رسول الله ﷺ نهى عن الخذف، أو كان

(١) رواه أحمد

(٢) رواه مسلم

(٣) الجالب العاطفي من الإسلام ص ٦٤ دار الدعوة ط ١٤٢١/٥ مصر.

يكره الخذف. وقال: «إنه لا يُصاد به صيد ولا يُنكى به عدو، ولكنها قد تكسر السن وتفقأ العين» ثم رآه بعد ذلك يخذف، فقال له: «أحدثك عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن الخذف أو كره الخذف، وأنت تخذف. لا أكلمك كذا وكذا»^(١).

* وتعد معاملـة الحيوانات - من وجهة النظر الإسلامية - داخلة في عموم الآيات والأحاديث النبوية المتعلقة بالإحسان وبالخير والشر.. وبدلنا على هذا تلك النصوص الواضحة في تعميق هذا المعنى الإنساني الذي يؤكد دخول الحيوان في باب العدل والرحمة المتعلقين بالإنسان نفسه، ولعل هذا المعنى العظيم قد استفيد من بعض النصوص السابقة... ولكننا نؤكد بمزيد من النصوص حتى يكون واضحاً.

فقد روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ سئل عن الحمر فقال: ما أنزل الله فيها شيئاً إلا هذه الآية الفاذة الجامعة: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ^(٢).

وقال الله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٣).

وقد سئل النبي ﷺ عن البهائم هل فيها أجر فقال: (فى كل كبد رطبة أجر)^(٤).

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (بينما كلب

(١) أخرجه البخارى في ٧٢- كتاب الذبائح والصيد: ٥- باب الخذف والبنطقة (والخذف هو الرمي بالخصا سواء أدى إلى القتل أم لم يؤد إليه) ومثله الرمي بالحجارة وغيرها مما يشبهها.

(٢) متفق عليه - الزلزلة ٧، ٨

(٣) سورة البقرة آية ١٩٥

(٤) رواه مسلم والترمذى

يطيف بركية^(١) قد كاد يقتله العطش إذا رأته بغي من بغايا بني إسرائيل،
ففرغت بموقها^(٢) فاستقت له به فسقته إياه فغفر لها به^(٣).

وأخرج الإمام أحمد عن سودة بن الربيع رضي الله عنه قال: (أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فسألته
فأمر لي بذود، ثم قال لي: إذا رجعت إلى بيتك فمرهم فليحسنوا إغذاء
رباعهم، ومرهم فليقللوا أظفارهم، ولا يعبطوا بها ضروع مواشيهم إذا
حلبوا^(٤)).

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه
قال: (أردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه، فأسر إلى حديثاً لا أخبر به أحداً أبداً،
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب ما استتر به في حاجته هدف أو حائش نخل، فدخل
يوماً حائطاً من حيطان الأنصار، فإذا جمل قد أتاه فجر جر وزرقت عيناه،
فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم سراته وذفره، فسكن، فقال: من صاحب الجمل، فجاء
فتى من الأنصار فقال: هو لي يا رسول الله. فقال: أما تتقى الله في البهيمة
التي ملكها الله، إنه شكا إلى أنك تجيعه وتدئبه^(٥)).

وروى الإمام أحمد من حديث عمران بن حصين في قصة المرأة التي
أسرت ثم نجت على العضباء أنها قالت: إني قد نذرت إن أنجاها الله تبارك
وتعالى عليها أن تتحرها، فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فذكروا ذلك فقال: «سبحان الله بسئ
جزتها، إن الله تبارك وتعالى أنجاها لتتحرها لا وفاء لنذر في معصية الله ولا

(١) الركبة: البئر

(٢) الموق هو الذي يلبس فوق الخف

(٣) رواه مسلم

(٤) رواه مسلم

(٥) أخرجه أحمد وأبو داود في الجهاد

نذر فيما لا يملك العبد»^(١).

وروى أبو داود عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فانطلق لحاجته، فرأينا حمرة معها فرخان، فأخذنا فرخيها فجاءت الحمرة تفرس، فجاء النبي ﷺ فقال: «من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها»^(٢).

* ويدخل في هذه النظرة الإنسانية الإيمانية القائمة على العدل والرحمة بالحيوان.. ما هو معلوم من مسلمة الإسلام من أن للحيوان حقوقاً في النفقة وتقدير طاقته في العمل، وتوفير العلاج له (الطب البيطري) حتى ولو عجز الحيوان عن العمل.

ومن أجمع ما ورد في ذلك ما ذكره الإمام البغوي في كتابه (تهذيب الأحكام) حيث يوب بـ (فصل في نفقه الدواب): ثم ذكر حديث أبي هريرة في المرأة التي عذبت في الهرة، ثم قال: «من ملك دابة يجب عليه علفها، وسقيها، فإن لم يفعل أجبره السلطان على علفها أو بيعها أو ذبحها، إن كان مأكول اللحم، فإن لم يفعل أنفق عليه السلطان من ماله، فإن لم يكن له مال، باعها عليه أو جزءاً منها أو أكرها إن أمكن كراؤها، وأنفق عليها من الكراء، حتى لو زمن أو عمى حماره فلم يشتتر عليه أن يعلفه، فإن لم يفعل باع عليه السلطان ماله في علفه، فإن لم يكن له مال أنفق عليه من بيت المال، ولا يجوز تضییعه كالرقيق، ولا يجوز أن يحمل عليها ما لا تطيق.

(١) أخرجه أحمد

(٢) أخرجه أبو داود، والحمرة بضم الحاء وفتح الميم المشددة، طائر صغير كالعصفور. فرخاها: ولداها، تفرس: ترفرف جناحها وتقرب من الأرض. (انظر في تفصيل ذلك وفي تأصيله: الأحكام المالية المتعلقة بالحيوان للأستاذ الدكتور عبد الله الموجان السعدى رسالة دكتوراه- ص ٤٩٢ وما بعدها كلية الشريعة والقانون ٢٠٠٩ القاهرة.

ولا يحلب لبن ذات الدر ما لم يفضل عن رى ولدها»^(١).

- وهذه الصور التي قدمناها مجرد سطور في كتاب النظرة الإيمانية الرحيمة التي يؤصلها الله في التعامل مع الحيوان.. في رحلة الحياة كلها.. وفي تلك اللحظة الأخيرة التي نودعه فيها (بسكين حاد) سلطه الله عليها بأيدينا المؤمنة المتوضئة، المتعانقة مع لساننا وقلبنا الذاكرين لله..

- إننا لا نختلف كثيراً عن صديقنا الحيوان، فنحن - أيضاً - نخضع لمدية (عزرائيل) ونسأل الله التخفيف ونزع الروح بيسر، فلنحب لصديقنا الحيوان ما نحبه لأنفسنا... وأيضاً يجب ألا ننسى أن بعض (الفلاسفة) يطلقون علينا - نحن بنى الإنسان - أننا (حيوان ناطق) - أو (حيوان له تاريخ)، وأياً كان الأمر فثمة وشائج تفرض علينا الالتزام بحق الأواصر والوشائج، مع هذا الحيوان... الذى نذبحه (اليوم) ليتحول (غداً) إلى بعض من جسدنا... فهو في النهاية لنا.. ونحن في النهاية منه، وهى دورة لا يزيد الحيوان.. ولا يزيد الإنسان.. عن أن يكون كل منهما مرحلة من مراحلها.. فما بيننا من تداخل يوجب التراحم والتكامل!!

الضوابط الشرعية في الذبح :

بعد العقيدة والعبادة يأتي دور الشريعة الغراء ليقم قواعد العدل، وليفرض على الناس تحقيق الوسائل الكريمة، ولا يترك الأمور بالتالي - لمزاجهم النفسى أو أهوائهم الشخصية -.

إن تحقيق (الإحسان) قد يفهمه بعض الناس على أنه (نافلة إيمانية) وأنه

يستطيع أن يكون مسلماً قاسى القلب، فتأتى الشريعة لتحقيق الإحسان وفرضه على الناس، وقد يتطور الأمر إلى التعذير إذا طبق الأمر بصورة غير كريمة بعيدة عن روح الشريعة.

- لقد حرص الإسلام على الرحمة والرفق بالحيوان، ودعا إلى الإحسان في الذبح، ومعاملة الحيوان معاملة إنسانية بعيدة عن القسوة والألم والتعذيب، قال صلى الله عليه وسلم: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح»^(١) ... وقد وضعت الشريعة لتحقيق هذا الإحسان القواعد التالية:

١- الرفق بها وعدم وإخافتها وذلك بعدم حد الشفرة أمامها أو ذبح غيرها أمامها، وقد قال عليه الصلاة والسلام لمن حد الشفرة أمام الشاة (أتريد أن تميتها ميتتين هلا أهددت شفرتك قبل أن تضجعها)

- ومن غريب ما حكى أن أميراً أمر بذبح جملة من الغنم، فكان الذابح يذبح أمام الغنم، فذبح جزءاً منها، ثم شغله عن الذبح شيء، فترك المديّة (السكين) عند الغنم، ثم عاد ليكمل الباقي، فلم يجد المديّة، واتهم الذابح بعبثهم بأنه هو الذى أخذ المديّة، فجاء رجل من بعيد ينظر، فقال: إن هذه الشاة أخذت المديّة بقمها، ورمتها في هذه البئر، فأمر الأمير شخصاً بالنزول إلى البئر، فنزل، فوجدها^(٢).

(١) رواه مسلم

(٢) عبد الله عبد الرحيم العبادى - الذبائح في الشريعة الإسلامية ط ١ ، ١٩٧٨ ، مكتبة النهضة المصرية

٢- عدم القسوة في معاملتها كجرها من موضع إلى آخر.

٣- عدم القسوة في الضغط عليها أو إيلاها.

وقد روى عن ابن سيرين عن عمر بن الخطاب ؓ أن رجلاً يسوق شاة ليذبحها سوقاً عنيفاً، فضربه بالدرة، ثم قال له: سقها إلى الموت سوقاً جميلاً، لا أم لك.

وقد روى عنه رضى الله عنه أيضاً: أنه رأى رجلاً وقد أضجع شاة، ووضع رجله على صفحة وجهها، وهو يحد الشفرة، فضربه بالدرة، فهرب الرجل وشردت الشاة^(١).

٤- عدم قطع أى جزء منها قبل موتها فالقطع تعذيب وحرام، ولا يجوز أكل ما يقطع منها قبل ذبحها، كما لا يجوز قطع أى شىء منها قبل أن تستقر، أى يتأكد من موتها، (أما الاختلاجات البسيطة فلا تعتبر حية) ولا يجوز الأكل منها قبل أن تموت، قال سبحانه: (فإذا وجبت جنبوها فكلوا منها) فلم يبح الله أكل شىء منها قبل وجوب الجنب وهو الموت.

وقد جاء في الحديث الشريف (ما قطع من البهيمة، وهى حية فهو ميت)، ويعلق على هذا الأثر الشريف أحد الباحثين المعاصرين فيقول: أن هذا يرجع إلى أن أهل الجاهلية، كانوا يجبئون من سنام البعير، ويقطعون من إلية الشاة فيأكلونها، فلما جاء الإسلام أوقفهم عند حددهم، فبين أن ذلك في حكم الميتة، لكى لا يعتدى على الحيوان الأعجم الذى لا يستطيع أن يدافع عن نفسه.

وقد قال القرطبي رحمه الله تعالى: ومن تمام هذا الباب أى الرحمة

بالحيوان في ذبحه قوله عليه الصلاة والسلام «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم، فأحسنوا القتل، وإذا ذبحتم، فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته»^(١) ثم شرح القرطبي مقتضيات الإحسان بقوله: إن العلماء ذكروا أن من إحسان الذبح في البهائم الترفق بها، فلا يصرعها بعنف، ولا يجرها من موضع إلى آخر، وإعداد الآلة، وإحضار نية الإباحة والقربة وتوجيهها إلى القبلة، والإجهاز (الإسراع) وقطع الودجين والحلقوم وإراحتها وتركها إلى أن تبرد، والاعتراف لله بالمنة، والشكر له بالنعمة، بأنه سخر لنا ما لو شاء لسلطه علينا، وأباح لنا ما لو شاء لحرمه علينا، وألا تذبح بهيمة وأخرى تنتظر^(٢).

ومن الرحمة بها أيضاً أن يقتصر على قطع الحلقوم والمرئ والودجين، ولا يزيد في القطع حتى يصل إلى النخاع، وهو عرق يمتد من الدماغ ويستبطن الفقار إلى عجب الذنب، لأن في الوصول إلى النخاع زيادة إيلاء، ولا يكسر عنقها، أو يكسر الفقار، أو ينقلها من مكان إلى مكان، أو يقطع منها عضواً، ولا يمسكها بعد الذبح، بل يتركها حتى تفارقها الروح^(٣).

وهكذا توضح الشريعة (التفاصيل) التعليمية - الأخلاقية والشرعية - الضرورية في عملية الذبح وفي التعامل مع الحيوان في هذه اللحظة العصبية، وآلة الذبح كذلك شروط، فمما يشترط في آلة الذبح أن تكون محددة، أي لها حد يقطع فلا يصح بآلة تخرق بتقلها، لا بحدّها، كما يشترط

(١) مسلم. انظر مسلم بشرح النووي ١٠٦/١٣ والبخاري أيضاً.

(٢) عبد الله بن عبد الرحمن العبادي: الذبائح في الشريعة الإسلامية ص ٥١، ٥٢ بتصرف.

(٣) المرجع السابق - المكان نفسه -

فيها ألا تكون سناً أو ظفراً، ويجوز أن تكون الآلة من أى مادة أخرى كالمعادن والحجارة والخشب، مع مراعاة الشرط السابق وهو أن تكون محددة.

ولمكان الذبح (محلّه أو موضعه) شروط أيضاً...

- فمحل الذكاة الاختيارية هو الحلق واللبة، ولا يجوز الذبح في غير هذا المحل بالإجماع.

- واختصاص الذبح بهذا المحل لأنه مجمع العروق ومجرى الدم: فتتفسح بالذبح فيه الدماء السيالة ويسرع زهوق النفس، فيكون أطيب للحم وأخف على الحيوان.

- والأعضاء التي يجب قطعها هي - كذلك - محددة....

ولا خلاف في أن الأكمل هو قطع أربعة أشياء: الحلقوم والمرئ والودجان.

فالحلقوم: مجرى النفس، والمرئ: مجرى الطعام والشراب، والودجان: هما عرقان محيطان بالحلقوم.

- وكل هذا يجب أن يتم في مناخ إيماني... بذكر الله... وباسم الله...

- والمراد بالتسمية على الذبيحة أن يقول: باسم الله، أو باسم الله والله أكبر، وتعتبر التسمية عند الذبح أو قريباً منه - شرطاً في حل الذبيحة لمن تذكرها عند الجمهور من العلماء، فإن تركها عامداً مع تذكرها فذبيحته ميتته لا تحل - وهذا مذهب المالكية والحنابلة والأحناف، وبه قال الثوري

وإسحاق، أما في حالة النسيان فيسقط اشتراطها^(١).

- وقد قوى (الغزالي) مذهب الجمهور في التفرقة بين العامد والناسي في ترك التسمية، محتجاً بأن ظاهر الآية وجوب التسمية مطلقاً، وكذلك بعض الأحاديث، أما الأخبار الدالة على الرخصة فتحتمل التعميم وتحتمل الاختصاص بالناسي، فكان حمله عليه أولى، لتجرى الأدلة كلها على ظاهرها. ويعذر الناسي دون العمد.

- وقد ورد أيضاً عند الذبح: «وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً، وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين اللهم منك ولك».

- وسواء كانت التسمية - وفي رأينا أنها الأصل - أم كانت الصيغة الأخيرة التي نرى أنها تنتمى. (للبسمة) لا مانعة منها ولا مغنية عنها...

سواء كان هذا أم ذاك فالمناخ الإيماني والعبادي والتوحيدي شرط الذكاة الصحيحة.

الذبائح المحرمة والحقوق الحيوانية (الإنسانية) فيها:

لقد تحدث الفقهاء كثيراً عن تحريم الله سبحانه وتعالى على المسلمين أكل عدد من الذبائح، وقد عالجوا حكمة هذا التحريم - دائماً - من وجهة نظر

(١) رواه ابن ماجه وانظر عبد الله عبد الرحيم العبادي: الذبائح في الشريعة الإسلامية - المكان السابق -

مصلحة الإنسان في صحته وعافيته، دون أن يُبصروا أن ثمة حكمة أيضاً لمصلحة الحيوان فلو أن الله سبحانه وتعالى أباح الميتة والدم والمنخقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع، لتفنن الناس في إبادة الحيوانات، ولتسابقوا في إبادتها بأى طريقة، كى تموت أى ميتة، ثم يأكلوها، متذرعين بأنها ماتت منخقة أو متردية، فجاء الحكم الشرعى بتحريم هذه الأنواع من الموت، احتراماً لحق الحيوان في الموت بطريقة كريمة تهدف لأداء وظيفة كتبها الله عليه.

- يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنَازِيرِ وَمَا أُهْلَ لغيرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ﴾ (١).

وكما ألمعنا فإن الفقهاء يرون أن لتحريم الميتة حكمة عالية هي أن الحيوان يموت عادة لأحد سببين: أولهما الشيخوخة، وثانيهما المرض، فإذا كان المرض هو السبب فإن الإنسان قد يتعرض للعدوى من الحيوان الميت عن طريق انتقال الميكروب لأن الطهو لا يقتلها، وقد يتعرض للمرض عن طريق السميات التي يفرزها ميكروب المرض حيث لا يمكن أن تقتل بالطهو أيضاً، وهذا هو المعروف بأسم (التسمم الغذائي)...

وغالباً ما يكون موت الحيوان بسبب أكله بعض الأعشاب السامة أو المواد الكيميائية القاتلة.

وإذا نحن جئنا إلى الشيخوخة كسبب للموت وجدنا الحيوان الذى يهرم

يصاب بتلصيف في جميع أنسجة جسمه فيفقد قيمته الغذائية، ويصبح عسر الهضم في الأمعاء.

فالحكمة في تحريم الميتة إذن هي إنتقال المرض. وقد حرم الله المنخقة - أيضاً - لتراكم ثاني أكسيد الكربون في الجسم بطريقة سامة^(١).

- أمّا الموقوذة فهي الحيوان الذي يضرب ضرباً يؤدي إلى الموت بعد أن يتلف الضرب أنسجة الجسم وعضلاته، أما النطيحة والمتردية فهما ما مات بسبب حادث وكلاهما يفسد لحمه كالضرب المفضي إلى الموت. وما أكل السبع هو ما أكله حيوان ذو ناب من أكله اللحوم كالكلب - مثلاً - والحكمة في ذلك أن هذه الحيوانات البرية مصابة غالباً بمرض يظهر في فمها ولعابها وتبقى آثاره على اللحوم فتؤذي من يأكل منها^(٢).

- لكننا نرى - كما ذكرنا - أن هناك حكمة إنسانية تتصل بالرحمة بالحيوان والحفاظ على حياته، فهنا تلتقى مصلحة الإنسان والحيوان معاً!!.

الذبح بين الإسلام والحضارة الأوروبية:

* ثمة فروق بين الذبح - في مراحل المختلفة - في الإسلام، والذبح والحضارة الأوروبية التي تزعم

(١) د. عبد الحليم عويس: «الرعاية الصحية في الإسلام» ص ١٠٠، ١٠١.

[نقلًا عن نص للدكتور أحمد شوقي الفنجري طبع الشركة السعودية للأبحاث والتسويق جدة ١/

١٩٨٩م].

(٢) المرجع السابق ص ١٠١.

(الفرق بالحيوان) - مع أنها لا تترفق بإنسان العالم غير الأبيض - وقد أثبت الفقهاء أن الإنسانية هي سمة الذبح الإسلامي، وأن المصلحة هي سمة الذبح الأوروبي.. كما قدموا الفروق التالية:

- ١- طريقة الذبح (الطريقة الإسلامية) إنسانية وصحيحة.
- ٢- تقاليد الذبح الحالية في الغرب رومانية، فقد ظلت بلا تغيير بعد اعتناق الإمبراطور الروماني « قسطنطين » للعقيدة المسيحية (والرومان كانوا يتلذذون بذبح الحيوان).
- ٣- الذبح يختلف عن كل شكل من أشكال قتل الحيوان المتبعة في الغرب، فإن الذبح في الإسلام معروف بوضوح كطريقة شرعها الله، ذات رخص، وقواعد، ونظم.
- ٤- الذبح هو طريقة لإدعاء الحيوان أقل ألماً.
- ٥- موت الحيوان يحدث بسرعة، ويعجل بإخراج روحه، بإحداث نزيف شديد بواسطة (قطع حاد عميق في مقدمة الرقبة).
- ٦- الذبح هو عبارة عن تخدير (أى حالة إفقاد الشعور بالألم) بعكس التدويخ (إفقاد الوعي) بضربة، أو صدمة.
- ٧- طريقة الذبح: (بالطريقة الإسلامية) تمدنا، وتعطينا لحماً خالياً من الدم وهو صحي، وفي نفس الوقت يستعمل طريقة إنسانية^(١).
- ومع هذه الفروق، فسيظل الباب مفتوحاً لاكتشاف مزيد منها، كما

(١) عبد الله عبد الرحيم العبادي : الذبائح في الشريعة الإسلامية ص ٦٤.

تتكشف في كل عام أضرار إضافية لم تعرف لكل ما حرمه الله.. لحم خنزير أو ميتة، أو خمرًا... أو غير ذلك مما هو معروف في قائمة المحرمات!!

٨- وأما أدوات القتل الآلية، المسماة بأدوات القتل غير المؤلمة أو الإنسانية، فهي مجرد أشكال متطورة لمفقدات الوعي غير الآلية في الماضي، فالمسدس، وهو الشكل الآلي للمطارقة (الشاكوش) يفقد الحيوان الوعي (أو يدوخه) بنفس طريقة المطارقة.

وإنما أدخل المسدس أساساً، لأنه جعل من الممكن قتل حيوانات أكثر في وقت أقل مما كان ممكناً بالنسبة للمطارقة بأحدث المدوخات (مفقدات الوعي) وهو إفقاد الوعي بواسطة غاز ثاني أكسيد الكربون، وهو الشكل الكيميائي للخنق^(١).

- ويعد التدويخ الكهربائي - من أكبر وسائل مفقدات الوعي الآلية وأشهرها- لكن المعنى المصلحي بارز فيه، فهو يذبح عدداً أكبر في آن واحد، وقد ثبت أنه ينتج - ككل أنواع التدويخ - صدمة عصبية يغادر فيها الدم الدورة الدموية.

* والحقبة التي لا يمكن إنكارها والتي نخرج بها من تاريخ المدوخات الآلية هي أنه بعد أكثر من نصف قرن من التجارب، لا يوجد مدوخ واحد استخدمه مأمون... فلا المسدس، ولا الكهرباء وسيلتان مأمونتان صالحتان، وكل ما يقال عنهما من معاني إنسانية يحمل في طياته معاني اقتصادية ومصلحية على حساب الرحمة بالحيوان وصحة الإنسان في آن واحد.

- وإذا كان الغرض المقصود هو الإنسانية (الرفق) نحو الحيوان، نجد أنه في التحليل النهائي يبقى استخدام (السكين) لإحداث نزيف شديد هو الطريقة الإنسانية (غير المؤلمة) الوحيدة لقتل الحيوان من أجل الطعام^(١).

- وهذا هو الذى انتهى إليه الباحث المسلم الكبير الدكتور غلام مصطفى خان في بحثه تحت عنوان: [AL-ZABAH slaying animals for food in the islamic way].

* ومما ذكر ندرك أن الدين الإسلامي دين الرحمة، والكمال ودين الحكمة، والنظافة، والصحة، دين كل خير، وبركة، حتى في الغذاء الذى يتغذى به الإنسان، فلم يكن في يوم من الأيام في حاجة ليأخذ التعاليم من مصادر أخرى غير مصدر الكتاب والسنة^(٢).

﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرَرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾^(٣).

* وبيقين، فإنه مهما اجتهدت البشرية- فإن ما شرعه الله هو الأحكم والأقوم، لأنه الذى يعلم من خلق (وما خلق) وهو اللطيف الخبير. صدق الله العظيم.

(١) عبد الله عبد الرحيم العبادى: المرجع السابق ص ٦٩.

(٢) المرجع السابق، ص ٧٠.

(٣) سورة الأنعام : الآية ١١٩